على هامش الدورة ١٦ للمجلس الوطني الفلسطيني

إحياء الجبهة الوطنية في الداخل ... مهمّة ملحّة

تعرضنا في العدد السابق إلى قضية الوحدة الوطنية الفلسطينية ، باعتبارها قضية القضايا التي تواجهنا بهذه المرحلة ، اذ يتوقف على حمايتها وتطويرها من عدمه ، انتصار او هزيمة الثورة الفلسطينية في مواجهة المخاطر الراهنة .

ولكي تستقيم الوحدة الوطنية الفلسطينية وتستقر ، يجب انْ تقف على قدمين : الأولى اوضاع الوحدة الوطنية بالخارج ، والثانية هي الجبهة الوطنية بالداخل . وإذا كانت الوحدة الوطنية بالخارج صامدة في وجه الخلافات والمخاطر المختلفة التي تهددها بالانقسام ، فإن الجبهة الوطنية بالداخل لا تزال غائبة ، بعد تجميدها منذ عدة سنوات ، بعد سلسلة من المناورات والتشكيل ، ومحاولات التعطيل والتخريب .

لقد وجدت الجبهة الوطنية بالداخل طريقها الى الغور بعد مخاض طويل استغرق اكثر من ست سنوات منذ الاحتلال الصهيوني الجديد عام ٦٧ ، وشقت طريقها الى الأمام ، محققة انجازات كبرى ، على صعيد مواجهة الاحتلال الصهيوني واجراءاته ومشاريعه ، استطاع أن يستند إليها النضال الفلسطيني بالداخل والخارج لمجابهة المشاريع الاستعمارية والصهيونية والرجعية . مما يجعلنا نقول ان استمرار هذا الغياب يجعل من الصعوبة بمكان ان لم نقل من المستحيل ، مجابهة المخاطر والتحديات الراهنة امام النضال الفلسطيني بالداخل . فالمطلوب ان تسارع المنظمات والأحزاب والعناصر الوطنية الى احياء الجبهة الوطنية ودعمها وتطويرها بكل الوسائل المتاحة .

فإذا كان غياب الجبهة الوطنية «مفهوماً» بشروطه وملابساته المختلفة ، بالأعوام السابقة ، فان استمراره الان ومع ادراكنا لاستمرار هذه الشروط والملابسات ـ بعد المستجدات التي حدثت بعد الحرب اللبنانية ، يجعل الخطأ الكبير الذي أدى إلى تعطيل الجبهة الوطنية ، يرتقي إلى حد الخطيئة التاريخية ، ـ التي لن يغفرها شعبنا لمجموع الفصائل الوطنية ، حسب مسؤولية كل منها عن حدوثه ـ لان هذا الخطأ يقدم إحدى الفرص الهامة للأعداء لضرب النضال في الأراضي المحتلة وتمرير مشاريعهم التصفوية والالحاقية والاحتلالية ، الامريكية والهاشمية والصهيونية . .

ان نضال الارض المحتلة ، مهما كان عظيماً ومستمراً ومتصاعداً ، سيبقى يدور في حلقة مفرغة ، إذا لم يجد الأداة القيادية الواعية ، السياسية والتنظيمية ، التي توحد العناصر والقوى الوطنية ، وتقود النضال وترشده ، وتضمن تنظيمه وانتظامه وتصاعده ، بالاشكال الملائمة ، حتى تحقيق الانتصار الناجز للبرنامج المرحلي المقر في المجالس الوطنية ، كخطوة على طريق تحقيق الحل التاريخي النهائي للقضية الفلسطينية .

وحتى يتضح ما نود قوله ، بصورة لا تدع أي مجال للشك ، يجب ملاحظة ان جملة من المعطيات والمستجدات التي خلفتها الاحداث اللبنانية ، تجعل ما كان ممكناً يصبح مستحيلاً ، وما كان خطأً يغدو خطيئة .

فما هي هذه المعطيات والمستجدات

أولاً : تزايد هجمة الكيان الصهيوني لاستثمار نتائج الحرب اللبنانية في الأراضي المحتلة . على أساس الحقيقة التي أكدتها الأشهر القليلة الماضية ، بان احد أهم أهداف الحرب الاسرائيلية على لبنان ، هو تمرير مشروع الحكم الذاتي .

ان شارون وحكومة العدو الصهيوني ، أدركوا بعد حصاد الفشل المتواصل طوال السنوات الماضية ، أن بوابة تمرير مشروع الحكم الذاتي ، تمر بالاجهاز على رأس وكوادر وقوات الثورة الفلسطينية في لبنان .

فما دامت الثورة الفلسطينية بالخارج قوية ، وتملك ارضاً ومؤسسات ، لا يمكن لأي مشروع اسرائيلي وامريكي او رجعي يمس القضية الفلسطينية ان يرى النور . من هنا نفسر أسباب الاجراءات والسياسات الصهيونية التي شهدتها الأراضي المحتلة ، منذ خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت ، فقد اعلن بيغن وشارون ، بملء الفم ، أن الضفة والقطاع أرض اسرائيلية ، وان الفرصة الذهبية لتمرير مشروع الحكم الذاتي قد لاحت ، حتى بلع الغرور بهم حد اعتبار هذا الأمر ، قاب قوسين أو أدنى من التحقيق .

وعلى الفور بدأ تنفيذ هذا الكلام ، عبر زيادة حجم المستوطنين في الضفة والقطاع ، والاعلان عن خطة تستهدف جعل عدد المستوطنين يصل إلى ١٠٠ الف خلال الثلاث سنوات المقبلة .

كما شنت سلطات الاحتلال عمليات مصادرة جديدة للأراضي العربية «بدواعي الأمن» ، وقامت بحملات اعتقال واسعة ، واصدار أوامر لجيشها ومستوطنيها بالضرب واطلاق النار على المواطنين الفلسطينيين ، وتنظيم عملية تدمير مكثفة للمراكز التعليمية ظهرت بصورة جادة عبر حملة الابعاد الواسعة لاساتذة الجامعات . كما اصدرت سلطات الاحتلال سلسلة من القوانين الاقتصادية ، التي تستهدف الاجهاز التام على اقتصاد الأراضي المحتلة ، وتضييق الخناق على مناضلي الاحتلال عبرفرض الاقامةالجبرية عليهم وملاحقتهم في لقمة العيش .

ثانياً : بدء حملة امريكية جديدة لاستثمار نتائج الغزو الاسرائيلي ، تجسدت باطلاق مشروع ريغان ، الذي لا يختلف الا من حيث النصوص وبعض الشكليات عن مشروع الحكم الذاتي ، هذا المشروع الذي يعكس سعي الادارة الامريكية الجاد على فرض حل يحقق الاهداف والمصالح الامريكية ـ الاسرائيلية .

ومما يكسب هذا المسعى خطورة على خطورته ، اتجاه عدد واسع من الأنظمة العربية للالتقاء مع هذا المشروع ، كما توضح نتائج أعمال قمة فاس ونشاطات اللجنة السباعية المنبثقة عنها .

ثالثاً : تزايد نشاطات ركائز السياسة الرجعية الاردنية والمصرية ، خاصة بعد اعلان الملك حسين عن مشروعه الالحاقي (الفيدرالية) ، واثر الحماس المصري الشديد له ، والذي ظهر في استئناف النظام المصري لنشاطه ـ كما ظهر بالزيارات المتلاحقة من قبل اعوانه بالضفة والقطاع ـ بالاراضي المحتلة حتى يسهّل الطريق أمام مشروع الملك الاردني .

هذه المستجدات استثارت نضالا فلسطينياً واسعاً ومتنوع الأشكال ضدها ، لانها تتناقض مع المصالح المباشرة للشعب الفلسطيني وتستهدف تصفية قضيته وثورته تصفية تامة .

هذا النضال الذي احتل حيزاً رئيسياً فيه ، ما جرى ويجري بالأراضي المحتلة ، من مظاهرات واضرابات واشتباكات مع المستوطنين والجنود الصهاينة ، ومن عمليات عسكرية متصاعدة أوقعت بالعدو خسائر ملموسة حسب اعترافات الناطق العسكري الصهيوني نفسه ، مما يعكس حجم الطاقات والامكانيات المتاحة لجماهيرنا بالأرض المحتلة ، ومدى أهمية وحيوية اعادة احياء الجبهة الوطنية لتكون الذراع الضارب لمنظمة التحرير ضد الاحتلال الصهيوني ومشاريعه ، وضد نشاطات ازلام النظامين الاردني والمصري .

غياب الجبهة الوطنية . . . لماذا ؟

وبعد ان استعرضنا العوامل التي تفرض ضرورة احياء الجبهة الوطنية سنعود قليلاً الى الوراء ، ونبحث في العوامل التي أدت إلى تعطيل وتجميد الجبهة الوطنية ، ليس ولعاً ولا حباً بنبش الماضي واثارة الخلافات ، بل لأن هذه العودة ضرورية لانارة الطريق أمام تحقيق هذه المهمة العظيمة ، ولمنع تعثرها مجدداً بفعل العوامل القديمة والجديدة .

لا نعتقد اننا نضيف جديداً ، عندما نقول انه بعد تأسيس الجبهة الوطنية بالداخل ، شهدت الأراضي الفلسطينية المحتلة نضالات وانتفاضات واسعة ، يمكن القول بثقة انها ما كان يمكن ان تبلغ هذا المدى بدون دور الجبهة الوطنية قائدة هذه النضالات وموجهها . وبالتالي يمكن القول بثقة ، ان تعطيل هذه الجبهة ، أدى ـ بالترابط مع أسباب اخرى ـ بصورة مباشرة ، دون أن تتواصل هذه الانتفاضات وان تتعاظم الى مستويات ارقى .

وننتقل الان للاجابة على سؤال يطرح نفسه بشدة ، لماذا يتم تعطيل الجبهة الوطنية ؟

اذا نظرنا الى واقع انتماء فصائل الثورة الفلسطينية الطبقي ، نرى انها (بالرغم من اختلاف المواقع الطبقية) جميعا ذات مصلحة موضوعية بتطوير النضال في الأراضي المحتلة ، وبخلق أداة واعية لقيادته . اذاً لنبحث في ميدان اخر عن الاجابة على السؤال المطروح .

لا يخفى على أحد ، انه رغم التطورات الهامة البالغة الدلالة على محتوى الثورة الفلسطينية ، باتجاه دفعها نحو الأفكار التقدمية ، والتجذر باستمرار ، الا أن اليمين الفلسطيني بشرائحه المختلفة ، لا يزال يحتل موقعاً اساسياً . وراجحاً في صفوفها ، بحيث يلقى هذا الموقع بأعبائه الثقيلة على الممارسة السياسية للثورة الفلسطينية .

لذا كان من الطبيعي ان تأخذ الجبهة الوطنية قسطها من هذه الأعباء . فكما هو معروف ، لم يبادر اليمين الفلسطيني الى انشاء الجبهة الوطنية بالداخل ، وهذا يظهر بعدم حماسه منذ المساعي الاولى لتشكيلها ، رغم انطلاقها من برنامج ينسجم مع برامج منظمة التحرير الفلسطينية . ولكنه بعد تردد انخرط في الجبهة الوطنية وساهم بقسط هام بنشاطاتها ثم تردد من جديد وانتقل من التعطيل والتشكيك ، وعدم الحماس بالبداية ، والترددثم التشكيك والتعطيل بالنهاية ، يعودالى ان اليمينَ الفلسطيني ، نظراً لعدم اقدامه على المبادرة لانجاز هذه الخطوة من ناحية ، ولكونه لم يخلق تشكيلات سياسية وتنظيمية مستقرة متغلغلة بالمؤسسات النقابية والوطنية بالارض المحتلة ، لم يحتل موقعاً مقرراً ، نتيجة لاهماله النضال السياسي والجماهيري طوال السنوات الأولى لانطلاقه الكفاح المسلح من ناحية اخرى .

ونظراً إلى أن عملية المجابهة المباشرة مع سلطات الاحتلال ، في سياق اتضاح طبيعة الاحتلال الصهيوني وسياساته الجذرية في معاداة كافة الطبقات الوطنية ، قد أدت الى دفع عناصر واتجاهات عديدة بالأراضي المحتلة ، من المحسوبة تاريخياً على اليمين الفلسطيني ، الى تحذير مواقفها والانحياز المتزايد نحو اليسار ، مما هدد بافلات الجبهة الوطنية ، من الحدود الضيقة لسياسات اليمين وطريقة تمثيله بالعمل السياسي ، التي تلجأ الى سياسة الأبواب المفتوحة ، وابقاء الجسور مع كافة المشاريع والأشخاص والقوى مهما كانت درجة معاداتها للنضال الفلسطيني والقضية الوطنية الفلسطينية .

لكل هذه الأسباب اخترع اليمين حجة لتبرير تعطيل الجبهة الوطنية ، وهي انها تحولت الى اطار منافس وموازي لمنظمة التحرير ، رغم ان كافة برامج واعمال وقرارات الجبهة الوطنية بالداخل تشهد على صدق التزامها بالبرامج المقرة بالمجالس الوطنية والقرارات الصادرة عن اللجنة التنفيذية .

ويمكن القاء مزيد من الضوء على موقف اليمين الفلسطيني من خلال معرفة ، ان اليمينَ الفلسطيني لا يرى في نضال الأرض المحتلة ، والجبهة الوطنية بالداخل سوى أداة ضغط لدعم نشاطاته السياسية على الأصعدة العربية والدولية ، فهو يهمل اهميتها في التصدي للدفاع عن المصالح والمهام المباشرة للشعب ، وبالتالي يهمل ضرورة تنظيم وتعبئة كل القوى والطاقات ، واستخدام انجع الوسائل لانتزاع الانتصارات الملموسة ومراكمتها حتى تحقيق الانجازات الكبرى .

وضمن هذه الملابسات ، لايمكن الاستجابة لمطالبة البعض بدفن الماضي وفتح صفحة جديدة ، والانطلاق من الصفر لاقامة الجبهة الوطنية ، متجاوزين بخفة النمر ، الانجازات والخبرات والتشكيلات التي تبلورت بعد نضال طويل قاس . . ان اي دعوة جادة حقاً لتطوير النضال الفلسطيني يجب أن تبدأ من النقطة والانجازات التي بلغتها الجبهة الوطنية «القديمة» ، بهدف استكمال تشكيلاتها . واشراك كافة الفصائل الوطنية التي تحتل وجود فاعل بالأراضي المحتلة في هيئاتها القيادية .

ان مرارة التجرد الماضية ، والقناعة الراسخة بان كابوس الاحتلال الذي يجثم على صدرو جميع الوطنيين ، يجعلنا موقنين مُن امكانية احياء الجبهة الوطنية ، اذا توفرت المبادرة الواثقة والمخلصة والمستمرة حتى تحقيق هذا الهدف الكبير .

ونعتقد ان هذه الخطوة لكي تنجح لابد ان تأخذ الدروس التالية بالاعتبار :

١ ـ لابد من الاقلاع النهائي عن تغليب الاعتبارات الضيقة والثقيلة والخلافات الثانوية والمنافسات العصبوية الضيقة ونزعات التفرد والشروط المسبقة . وهذا لايمكن ان يتم بدون الاقرار بأوضاع القوى والفصائل الفعلية بالأراضي المحتلة بدون سحب أوضاعها بالخارج على الداخل بصورة تعسفية ، وبدون اعتماد قيادة جماعية ديمقراطية واعية تنبثق عنها تشكيلات تضم في صفوفها كافة الفعاليات الوطنية ، التي تقف فعلا ضد الاحتلال ، ومعارضة اي تجدد لمحاولات اليمين بفرض رموز رجعية على قيادة الجبهة لان هذه الرموز تستخدم هذا الموقع اذا حصلت عليه لتمرير مشاريع اسيادها من الانظمة العربية ولتخريب المؤسسات الوطنية .

٢ ـ لا بد من الاقرار ان الاعتبارات والظروف التي ينطلق منها ويعيش ضمنها النضال من الداخل لا تتطابق كلياً مع اوضاع واعتبارات وظروف النضال بالخارج من حيث عدد القوى وحجمها واشكال النضال التي تبتدعها ، ومن حيث وضوح الحد الادنى المطلوب للاسهام بالجبهة الوطنية : معارضة الاحتلال وافشال مشروع الحكم الذاتي والمشاريع الاستسلامية والالحاقية الامريكية والرجعية .

من قرارات الدورة الخامسة عشرة للمجلس الوطني

تدعيم بناء الجبهة الوطنية الفلسطينية في داخل الوطن المحتل وتعزيزها باعتبارها الذراع الاساسي الفعال لمنظمة التحرير الفلسطينية في توجيه نضالات شعبنا السياسية والجماهيرية في الارض المحتلة وتوفير كل وسائل الدعم السياسي والمادي والمعنوي لها .

ودعم لجنة التوجيه الوطني المركزية ولجانها الفرعية باعتبارها الاطار الوطني العريض لبلورة الموقف الوطني الموحد .